الغلو

أسبابه ، وعلاجه

دراسة استقرائية تحليلية في ضوء الكتاب والسنة

إعداد الباحث

محمد بن سرار اليامي

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة نجران

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وآله وصحبه الغرِّ الميامين.

أما بعد.....

فلا بُدّ عند التعرض لدراسة ظاهرةٍ مَاْ من البحث بعمق وراء أسبابها الواقعية في الميدان؛ قريبة كانت أم بعيدة، لأن الانشغال بالعوارض، وبالأسباب الإنشائية التنظيرية محمل تفويت واجبٍ لعلاج هذه الظاهرة، وعند التأمل في الظاهرة محل البحث" الغلو" ندرك أن هناك أسباب واقعية ساهمت في طفوها على السطح، وأن لهذه الأسباب علاج واقعى أيضا يساهم في حل الأزمة الناتجة عن هذه الظاهرة المركبة فتتفكك ليستبين أمرها للجيل.

➢ **والسؤال الذي يدور حوله هذا البحث: ما هي هذه الأسباب؟ وما هو علاجها، في ضوء مفهوم هذه الظاهرة في اللغة والإصلاح؟**

فالإجابة على هذا السؤال مع الحضور المزعج لهذه الظاهرة؛ من أهم ما ينبغي أن ينفق فيه الباحث وقته.

وقد قسمت البحث: إلى مقدمة ومبحثين:

مقدمة: بيان مفهوم الغلو، والألفاظ المرادفة له

المبحث الأول: بيان أسباب ظهور الغلو وفيه

المطلب الأول: الأسباب المجتمعية الجماعية لظاهرة الغلو.

المطلب الثاني: أسباب فردية شخصية.

المطلب الثالث: أسباب سياسية.

المبحث الثاني: العلاج الواقعي لظاهرة الغلو

المطلب الأول: علاج الأسباب المجتمعية.

المطلب الثاني: علاج الأسباب الفردية والشخصية.

المطلب الثالث: علاج الأسباب السياسية داخلية وخارجية.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

أسال الله أن يوفقنا لصلاح النية والعمل والقول.... وإلى البحث.

❁❁❁❁❁

مقدمة
بيان مفهوم الغلو، والألفاظ المرادفة له

عرف العالم الإسلامي ظاهرة الغلو من زمن قديم، فقد حمل التاريخ أحداث الخوارج الغلاة الذين خرجوا على عثمان ﷺ وقتلوه، وقد جاء في سياق السيرة النبوية قبل ذلك قصة ذلك الرجل الذى يقول: اعدل يا محمد؛ لمَّا قسَّم النبي ﷺ الغنائم، وقد وصفهم لنا رسول ﷺ الغلاة وجلاهم؛ لكن هذه الظاهرة بذاتها تشمل الخوارج، وغيرهم ممن وقع فيها، وبذلك يكون الغلو عام، وخاص، فالعام مطرد في حياة المغالي ومعتقداته، والخاص يحمل وجها من أوجه الغلو، وفى هذا ما فيه من الفرق في الحكم عليهما، ولبيان هذه الظاهرة، ورصد شيء من أسبابها الواقعية، وعلاجها، كتبت هذا البحث إسهاما في العدل والإنصاف في التعامل معها، فقد قوبلت هذه الظاهرة بغلو مقابل، أو بقبول غافل، وكلا الحالتين لا يصح، ومن لوازم الإنصاف عند أهل الحق رؤية الظاهرة من أطرافها كلها، وسبر أسبابها، ومن ثم وضع ما يناسب لها من العلاج، ولعل أهم ما في الأمر هو تحرير مفهوم هذه الظاهرة، إذ أن تحرير المفاهيم هو في حقيقته تحرير للتصور الصحيح لها، ومن ثم رصد أسبابها، ومعالجة تلك الأسباب، مع أن الاصل في الشريعة هو اليسر ورفع الحرج.

أولاً: مفهوم الغلو:

لا شك أن فهم مصطلحات البحث هو فهم لمقاصده، ولأهداف الباحث منه، وهذا أوان الشروع فيها.

- **تعريف الغلو:**

في اللغة: مأخوذ من مجاوزة الحد، يقول ابن منظور: "غلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده"، ويقول ابن فارس:" الغين واللام والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدره"(١).

- **وفي الإصلاح:**

هو مجاوزة الحد في الشيء بأن يزاد في مدحه أو قدحه على ما يستحقه.

- **وفي الشرع:**

هو تفسير أدلة الشرع تفسيرا متشددا يتعارض مع روح الشريعة ومقاصدها، مما يكسب الفرد تعمقا في معاني الوحي لم يكلف بها؛ قال الشاطبي رحمه الله: "ومن طماح النفوس إلى ما لم تكلف به، نشأت الفرق كلها أو أكثرها"(٢).

(١) معجم مقاييس اللغة :مادة (غلوي).
(٢) الموافقات: (٨٩/٢).

ثانياً: مرادفات المصطلح:

• العنف:

وهو وإن كان فيه وجه ترادف للغلو إلا أنه يحمل وصفا من أوصاف الغلو؛ يقول ابن فارس: "العين والنون والغاء: أصل صحيح يدل على خلاف الرفق[١].

• التشدد:

وهو كذلك، وإن كان فيه وجه ترادف للغلو؛ إلا أنه يحمل وصفا من أوصاف الغلو أيضا؛ يقول ابن فارس :"فالشين والدال: أصل يدل على قوة في الشيء"[٢].

• التنطع

وهو كذلك، وإن كان فيه أيضا وجه ترادف لمصطلح الغلو؛ إلا أنه يحمل وصفا من أوصافه أيضا؛ يقول ابن فارس: "النون والطاء والعين: أصل يدل على بسط في الشيء وملامسه"[٣]، فأصل التنطع التعمق في

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة "عنف".
(٢) المرجع السابق، مادة "شد".
(٣) المرجع السابق، مادة "نطع".

الكلام[1]؛ فحقيقة الغلو إذن: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"[2].

❁❁❁❁❁

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/٧٤) ولسان العرب لابن منظور، مادة "نطع".
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٣/٢٧٨).

المبحث الأول
بيان أسباب ظهور الغلو وفيه

المتتبع لأتباع الأديان، بل ولأتباع دعوات الرسل -عليهم السلام- يلحظ تنوعا كبيرا في تعاملهم معها واستجابتهم لها على أحوال منها:

- مفرِّط في حددوها.
- مُغالٍ تجاوز حدودها.
- مستمسك بالحدود والمراسيم مستقيم على جادتها.

وهذا النوع واقع في أتباع الأديان السماوية أو الرسولية وغيرها كذلك؛ والتركيز على الأسباب لبيانها والكشف عنها مفتاح لعلاجها.

وفى هذا المبحث ألخص ما فتح الله به من أسباب بمشيئة الله، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

١-أسباب مجتمعية.

٢-أسباب فردية.

٣-أسباب سياسية خارجية وداخلية.

وهذا ما سأتناوله بالبيان في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأسباب المجتمعية الجماعية لظاهرة الغلو

تتعدد الأسباب المجتمعية التي تؤدي غالبا إلى تكوين ظاهرة الغلة في المجتمع، ومن أهم هذه الأسباب، ما يأتي:

أولا: ظهور المعاصي والمجاهرة بها:

ظهور المعاصي منكر وخطير فكيف بالمجاهرة بها قال الله جل وعز: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [الأنعام: ١٢٣]

وقال تعالى: وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا [الإسراء: ١٦].

والمترفون في كل أمة هم أكابر الناس، وأهل التنعم والتسيد والتريس، والآيات تبين سنة الله الكونية في هؤلاء، وأنهم إن لم يُؤخذ على أيديهم هلكوا، وأهلكوا، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) [(١)]؛ فيخرج أهل الإشفاق على الأمة محذرين لها من مغبة المعاصي والمجاهرة بها، فلا يستجاب لهم، أو يتعرضون لعقاب، أو يستهزأ بهم، فلا يغيرون، وليس التغيير مقصودا أكثر من إقامة الشعيرة في

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث (٢١٦٩)، وقال: "هذا حديث حسن". وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/٤٦٨).

الأمر والنهى، مما يورث ردود أفعال مكبوتة ممنوعة من نشر الفضيلة، والذب عن أعراض الناس مما يورث الاحتقان في المجتمعات فيُفرَّخ جيل لا ينكر إلا بالسلاح والقهر والقوة؛ مما يجعل الغلو يتسرب إلي قلوب الوادعين.

ثانياً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

"أصل المعروف: كل ما كان معروفا فعله، ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الأيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفا؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله" (١).

"وأصل المنكر: ما أنكره الله، ورأوه أهل الإيمان- قبيحا فعله، ولذلك سميت معصية الله منكرا؛ لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها(٢).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال أهل الإيمان الحق بالله الحق جل وعز، ولقد أثنى الله عليهم في كتابه في غير ما آية فقال عنهم: ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ١١٢] فقد وصف الباري جلَّ وعزَّ في هذه الآية خواص عباده أهل البشرى بهذه الصفات العظيمة، كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سبب من أسباب خيرية هذه الأمة فقد قال الله جل وعز :

(١) تفسير جامع البيان، للطبري (٤/٤٥).
(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ [آل عمران: ١١]، "وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس"(١).

وقد أجمعت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما نقل ذلك النووي – رحمه الله– فقال:" قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة، وإجماع الامة"(٢)، وقال الإمام ابن حزم –رحمه الله– : "اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم"(٣).

وبترك هذه الخلة العظيمة في الأمة وفي خيريتها يحصل في المجتمعات شيء من الانحلال والابتعاد عن معالم الرسالة ويحصل من الفتن الشيء الكثير مما يورث المجتمع المسلم ألوانا من الانشقاق بين راضي مسالم مداهن، وبين منكر بعنف، وغاضب على المجتمع، وغال في ردود أفعاله، وبين معتدل مصلح متوسط، فيكون ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سببا من أسباب إيقاد جمرة الغلو عند المتحمسين للإنكار والتغيير للمنكرات، بل يزداد الأمر فظاعة بتجهيل المجتمعات ومن ثم تكفيرها.

(١) الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢٨/٣٠٦-٣٠٧).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٥١).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤/١٧١).

قال ابن تيمية –رحمه الله–:" وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه مثل أن يقوم واحد من الناس يؤيد أن يقطع يد السارق ويجلد الشارب ويقيم الحدود، لأنه لو فعل ذلك لأفضي إلى الهرج والفساد"(١).

ثم إن الغلو في هذه المواقف هو منكر من المنكرات التي صرح بها القرآن الكريم قال تعالى: يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا [النساء: ١٧١]، وعن أنس ابن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم) (٢).

ثالثاً: معالجة فشو المنكرات بطريقة صحيحة:

فعلاج فشو المنكرات بطرق خاطئة مفتاح للغلو أيضا، وإن المنكر إذا فشا استوجب الأمر العلاج بالطرق الشرعية اللائقة به، وكل منكر بحسب زمانه ومكانه ونوعه يكون علاجه، لكن يجد الباحث أن العلاج العام لفشو المنكرات يتحقق بما يلي:

١-**نشر العلم الشرعي**، الذي في نشره تحصين للأمة من خطر المنكرات السلوكية والعقدية، والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه، فيعرف الحق

(١) مختصر الفتاوى المصرية : (٥٧٩).
(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب: في الحسد، رقم الحديث (٤٩٠٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٢/٧)..

من الباطل، والعلم الشرعي يزيد المؤمن خوفا ووجلا وخشية من الله -جل وعز- مما يوقظ ضمير المؤمن ويقيه من الوقوع في المعاصي والمنكرات.

٢-**نشر فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وإظهاره ودعمه رسميا وفرديا مما يبين مزية هذه الشعيرة.

٣-**البرامج التثقيفية العامة**، للناس مما يبين الأخطاء السلوكية والعقدية لهم ويكفيهم عنها، بل وحتى البرامج التثقيفية الصحية لها دور عظيم في ذلك.

٤-**نشر ثقافة الحوار**، لامتصاص رؤى الجيل واحتواء أزماتهم قبل تعاقمها.

٥-**نشر روح الأخوة الإسلامية بين الناس**؛ فينصح الناس بعضهم بعضا ويأمر بعضهم بعضا، وينهي بعضهم بعضا في ضوء ما تتيح لهم الشرعية الإسلامية الشاملة.

المطلب الثاني: أسباب فردية شخصية

مما لاشك فيه أن جماعات الغلو تكونت من أفراد اتفقوا في الأفكار والرؤى والأطروحات والمواقف، مما شكل بينهم تحادا في الفكرة، وشبه اتحاد في التعامل مع الخصوم، فأصل كل جماعة مغالية، فرد غالي؛ ولذا وجد الباحث أنه من الهام إبراز بعض الأسباب الشخصية للفرد المغالي، والتي منها:

(أ) ضعف العلم الشرعي المؤصل بالدليل والتعليل:

بل لو قلت: الجهل لما كنت عن الحقيقة بمعزل، ومفاتيحه عند الشخصيات المغالية ظاهرة منها:

١- عدم الأخذ عن العلماء الراسخين في العلم والكبار فيه. قال ابن سيرين -رحمه الله: " إن هذا العلم دين فانظر عمن تأخذ دينك"[(١)].

٢- تطبيق فتاوى صدرت من العلماء راسخين وأقول بعض السلف على واقع يختلف معها ومع ملابسات صدورها في وقتها ومن ثم، جعل هذه الفتاوى والأقوال قواعد للانطلاق منها في الفهم مع تقيننا بعدم معصومية السلف والخلف، حاشا رسول الله - ﷺ-.

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/١٤).

٣- عدم التفريق بين التكفير العام، وتكفير المعين والبعد عن مناهج أهل الحق في ذلك.

(ب) التعصب:

وهو من أوصاف الضعف والجهل، ومن خصاله أنه يعمي العقل عن الفهم[١].

وهو أيضاً: الانكفاء على الفكرة والجماعة وإضفاء المعصومية عليها دون ما شعور، حتى لا يكون الحق إلا في قول المتعصب وفي جماعته، وهذا فيه ما فيه، من عدم الاستعداد لسماع المخالف والذي قد يحمل شيئا من الحق، وفيه أيضا حدة في الطباع يورثها التعصب واستشعار المظلومية؛ على المخالف مما يكسبه الفجور في الخصومة، وعدم قبول الحق مما جاء به، وفيه إعطاء النفس الحق في الخوض في أمهات المسائل والاعتذار للمخطئ منهم بأنه بين أجر وأجرين، ومع ذلك فلا يقبل رأي أحد سواه فيما يحكم به، وهذا هو الهوى.

(ج) الحماس المتهور وغير المنضبط:

فالغيرة لله جل وعز عبادة، والغيرة على محارم الله أن تنتهك قربة، والمؤمن يغار أن تنتهك حرمات الله، لكن لا يدفع المؤمن الغيرة على محارم الله للوقوع في محارم الله أيضا، لأن العقل المتحمس والذي تقوم العاطفة فحسب بتوجيهه لا يحسب مآلات الأمور، ولا غيرة إلا في ريبة

(١) انظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبدة، وطارق الحكيم، ص (٨٣).

كما جاء في الأثر، ولعل أكثر من يقع في هذا السبب هم الشباب، لوجود دوافع النشاط ودواعي الحمية، وغيرها من الدوافع، والواقع شاهد على ذلك.

ولقد اتفقت نتائج دراسات وبحوث كثير على أن مرحلة الشباب هي المرحلة التي يظهر فيها أكثر مما عداها الشعور الديني لدى الفرد، وحين يفتقد الشباب التربية الرشيدة والقدوة الصالحة؛ أو يتعارض ما يتلقاه في المدارس أو في الحياة مع الشريعة ينتقل إلى ألوان من الشك والاضطراب سائقة إلى نوع من الانحراف الديني، ومن ذلك الوقوع في الغلو(١)، ويكون هذا مساقه إلى الاستعجال.

ومجمل معنى الاستعجال هو: أن يظهر الله دينه، وأن يمحق الكافرين. قال تعالى: خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ [الأنبياء: ٣٧]، قال ابن كثير –رحمه الله–: "والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال الله تعالى: {خلق الإنسان من عجل}؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: {سأوريكم آياتي} أي: نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني، {فلا تستعجلون}"(٢).

(١) انظر: إيمان الشباب صيانة ووسائل دعمه، د. إبراهيم اللبان، (٢٠٢ : ٢٠٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٤٣/٥).

ولا شك أن أسباب الاستعجال كثيرة منها:

١-شيوع المنكرات.

٢-شدة البلاء والظلم.

٣-العجز عن تحمل مشاق طريق الإصلاح والحق.

٤-عد إطاعة الناهين عن المنكر.

٥-عدم فهم نصوص الجهاد والاستشهاد.

٦-البعد عن ذوي الخبرة والتجارب.

٧-طبيعة النفوس المجبولة على العجلة.

فإذا اجتمع هذا الاستعجال على حماس لم ينضبط وزاد عليه التعصب والانغلاق، وصاحبه الجهل، فقد استحكمت أسباب الغلو على هذه الشخصية.

المطلب الثالث: أسباب الغلو السياسي

أولاً: الأسباب السياسة الداخلية في الدولة الإسلامية:

قد تكون السياسة المتبعة في دولة ما من الدول الإسلامية سببا في شيوع ظاهرة الغلو، ويرجع ذلك في غالب الأحيان إلى العوامل الآتية:

١-**ضعف تحكيم الشريعة في البلاد الإسلامية**، إن لم يكن غياب ذلك تماما، والله جل وعز يقول: مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [يوسف: ٤٠] فالحكم لله جل وعز ثابت له، منفي عمن سواه، والحكم والعبادة بينهما ترابط، قال ابن عاشور -رحمه الله- : "وجملة إن الحكم إلا لله إبطال لجميع التصرفات المزعومة لآلهتهم بأنها لا حكم لها فيما زعموا أنه من حكمها وتصرفها، وجملة أمر ألا تعبدوا إلا إياه انتقال من أدلة إثبات انفراد الله تعالى بالإلهية إلى التعليم بامتثال أمره ونهيه، لأن ذلك نتيجة إثبات الإلهية والوحدانية له، فهي بيان لجملة إن الحكم إلا لله من حيث ما فيها من معنى الحكم، وجملة ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون خلاصة لما تقدم من الاستدلال"[(١)].

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٢٧٧).

ولقد عاشت الأمة الإسلامية والخضوع لحكم الله حاضر في حسها تحياه قرونا طويلة، وحين بدأ الانحراف في هذه القضية بدأ في شكل انحراف في الجزئيات لا في الكليات، فلم يكن هناك زعم بأن الحكم ليس لله وإن كانت هناك بعض المخالفات في الحكم بدين الله، وهذا الانحراف الجزئي حين بدأ، بدأ مبكرا مصداقا لحديث النبي ﷺ: (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة) [(١)]، فكان عدم تطبيق الشريعة كالأساس والسبب الرئيس للغلو في معظم ديار المسلمين، حيث أقصيت الشريعة الإسلامية، واستجلبت القوانين الوضعية مما أوجد عند كثير من الناس شعورا بالظلم من تطبيق القوانين الوضعية على الشرع المطهر[(٢)].

٢-**غياب دور العلماء أو ضعفهم في أدوارهم**: العلماء ورثة الأنبياء، وهم ذوو المنزلة العظيمة في قلوب الشعوب والحكام لعظم فضلهم في الإسلام، وجليل قدرهم، قال رسول الله ﷺ: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة

(١) رواه أحمد في مسنده، (٥/ ٢٥١) رقم الحديث (٢٢١٦٠). قال المحققون: إسناده جيد.
(٢) انظر: الغلو، مصطفى خليل، ص (٢٣١).

الأنبياء، لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر) [1].

قال ابن رجب –رحمه الله–: " يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم، فهم خلف الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله، والزود عن دين الله"[2]، ومتى ضعف حمل هذا العلم عن هؤلاء العلماء ضعف بثُّ ميراث الأنبياء في الناس، وخرج للناس رؤوسا جهالا ضلوا وأضلوا، وحاجة الناس للعلم في عموم الحياة هامة؛ فكيف بحاجتهم له عند التباس الأمور وفوران الفتن والمشتبهات، فإذا انشغل العالم بنفسه عن أمته ضاعت، وخرج من يحاول أن يقوم بدوره، ولو لم يكن مؤهلا.

قال الشاطبي –رحمه الله–: "أما قلة العلم وظهور الجهل فبسبب التفقه للدنيا"[3]، وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم بالدين لبيانه ودعوة الناس إليه، فقال جل وعز: وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ [آل عمران: ١٨٧]، ومما يحتاج الناس والجيل لبيانه من العلماء موضوع الغلو،

(١) رواه أبو داود في سننه، (٥٨/٤) رقم الحديث (٣٦٤١)، وأحمد في مسنده، (١٩٦/٥) رقم الحديث (٢١٧١٥)، قال المحققون: إسناده حسن.
(٢) شرح حديث أبي الدرداء ص (٦٤).
(٣) الاعتصام، (٢/ ٥٧٤).

والاتفاق حول بيان معناه وخطره على الفرد والمجتمع، والأمة بأثرها، وغيره من النوازل الملمة بالأمة.

ومن الإنصاف أن نقول: أن سبب غياب دور العلماء الراسخين، وأحيانا غياب أثرهم على وجهين هما:

١- **ضعف العالم في تعاطيه للعلم**، وتأثره وتأثيره فيه، مما يورث خطابا ضعيفا، وتصورا ضعيفا للقضايا.

٢- **إضعاف العالم في تأثيره**، ومن ذلك عدم تمكنه من التحدث للجماهير، أو مصادرة فكره، ومنعه من النزول للناس؛ مما يضعف أثر العلماء على الأمة.

٣- **تحجيم دوره أحيانا وفق المراد**، مما يضيع عليه شعبية القبول لكلامه عند الجمهور؛ حتى إذا تصدى لعلاج معضلة رد قوله.

٤- **تهميش دور العالم** في مسائل محدودة.

٥- **عدم تصور خطورة هذا الأمر**، وخطورة مآلاته؛ مما يجعل دور العالم محل تعارض.

٣-**التعذيب والعنف والضغط غير المبرر على أمثال هؤلاء**، فالعنف لا يورث إلا عنفا، وعلاج الغلو بالغلو ظلم وقهر للفضيلة، والناظر في غلو وعنف الغالي يجد أن من أبرز الدوافع له ممارسة العنف عليه، والغلو في أذاه، والإمعان في إهدار الكرامة الإنسانية التي منحها الله له، وهذا يورث الموقف العنيف، والنظرة الغالية لكل خصم له.

يقول عمر التلمساني: "إن الشباب الذي يلقى كل هذا التعذيب لم يكن يصدق أن من يفعل هذا يمكن أن يكون مؤمنا"[(١)]؛ فالنتيجة عنف متبادل، وغلو في النظرة للمضاد، ودوامة صراعات فكرية بين من يمارِس عليهم الغلو في المتعقلات، وبين من يمارَس عليهم الغلو في معتقلاتهم، وبينهم وبين زملائهم أيضا في داخل زنزاناتهم، مما ينضج فكرتهم الغالية دون الشعور بذلك، حتى يسلك المغالي الفكرة الغالية التي ربطته بمناهج أهل الفرق المنحرفة في الإسلام دون ما شعور.

٤-**تبني الأطروحات التي من شأنها محاربة الدين**، فتبني مثل هذه الأطروحات ومغازلة التطرف الناعم، والإرهاب المسكوت عنه؛ كما يسميه بعض الفضلاء[(٢)]، وهو تبني كل ما من شأنه إضعاف أثر الدين على المجتمع المسلم، وعلى الفرد المسلم، سواء كان ذلك في رؤى وأطروحات علمانية، أو لبرالية، أو ما سوى ذلك؛ مع التبرير الواسع لهؤلاء والإعذار لهم بأنهم يحبون الأمة، ويسعون في نجاحها، والسكوت عن أفعالهم التي تسعى بالعلم وأهله إلى ما لا يقبل عقلا وشرعا.

يقول د. محمد سعيد عشماوي عن القرآن الكريم: " لا زالت توجد به حتى الآن بعض الأخطاء النحوية واللغوية"[(٣)].

---

(١) نقلا عن مشكلة الغلو للويحق، عن مجلة المصور (عدد ١٩٨٩).
(٢) التطرف المسكوت عنه، د. ناصر الحنيني، بحث قيم في بابه.
(٣) الخلافة الإسلامية، ص (١٤٨).

ويقول نزار قباني:

من أين يأتي الشعر يا قرطاجة والله مات وعادت الأنصاب[1]

فنشر مثل هذا النتاج البشري المصادم لأصول الإسلام، وتبريره في الإعلام، وطرح نتاج مشابه شكلا ومضمونا لما سبق يُورث أهلَ الإيمان بعظمة الله غضبا شرعيا، فإن لم يوجه ذلك الغضب لشرعي، وإلا كان الشباب قذيفة هاون متنقلة بين الناس، وبهذا يكون التطرف الناعم هو جزء ممن يحمل ما يحصل للجيل من أخطاء غير مقبولة من الطرفين، فنحن أمة وسط.

ثانياً: الأسباب السياسية الخارجية في الدولة الإسلامية:

مما لاشك فيه أن الناس في الحق على أقسام:

- فمنهم من أخذ بكامله.
- ومنهم من تركه بكامله.
- ومنهم من أخذ شيئا وترك شيئا.

ومن سنة الله في خلقه أنه ابتلى بإتباع رسله ولزوم شرعه، وابتلى أصحاب هذا الابتلاء بخصوم مجافين وأحباب مغالين، قال ﷺ: (يوشك الأمم أن تتداعي عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها...)[2]، وواقع

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، (٣/ ٦٣٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه، (٤/٤٨٣) رقم الحديث (٤٢٩٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٦/٣٦٤)، رقم الحديث (٨٠٣٥).

العالم الإسلامي في الحاضر يشهد بهذا فقد حاربه اليهود، والنصارى، والشيوعية، والمؤامرة على الإسلام ظهرت حتى عرفها القاصي والداني.

يقول الدكتور: محمد حسنين هيكل: "إنه يندهش من روح العداء الصليبي التي تنتشر في الغرب الآن"(١)، وقد تمثلت هذه الروح العدائية في غزو مسلح، وغزو فكري، والثاني عند الباحث أخطر وأعمق من الأول.

ثم إن هذا العداء على الإسلام وأهله، وهذا التكالب عليهم يورث حركة لنفس كل ذي غيرة على أمته وعلى أمجادها وعلى حضارتها مما يكسبه فكرة إيجاد حلول لهذا الواقع البئيس، فإن لم يتحل بالرشد والتؤدة، والعقل السديد، والعلم النافع، والعمل الصالح، وإلا كان على الأمة مفتاح خطر، وجالبا مستعجلا للعدو إلى حصون أمته وهو لا يدي سوى أنه يحب هذه الأمة المسلمة، كما أنه سيعيش دور المظلوم المتآمر عليه مما يورثه استعداء كل من سواه، والتشكيك في نيته ومقصده، وأنه الناجي فقط والخادم للأمة فقط؛ هو ومن يدينون بنظريته، وأزيد للفائدة مراتب الناس من نظرية المؤامرة: فكأن الناس في النظر لهذه النظرية المؤامرات على مراتب:

- فقوم قالوا: لا مؤامرة، وأنتم مهوسون بسوء الظن في كل من سواكم، ويتميز هؤلاء بأنهم يرجعون باللوم على قومهم.

(١) المواجهة بين الإسلام والغرب، محمد مورو، نقلا عن جريدة الشعب المصرية (عدد: ١٧/٣/١٩٩٢م).

- وقوم قالوا: نحن نعيش معالم المؤامرة في كل تفاصيل حياتنا، حتى أصابهم الوسواس القهري، واستغرقوا في فكرة المؤامرة لدرجة مرضية مزعجة؛ أفنوا معها جهودهم ونضالهم، وأعمالهم وأموالهم، وما زادهم ذلك إلا تصديقا وتسليما بفكرهم، وهؤلاء كانوا سببا من أساب غرس الغلو في الجيل رضوا أم غضبوا، فقد اشتغلوا بالهدم فحسب.
- وقوم قالوا: لا شك من وجود مؤامرة على الأمة الإسلامية، وتعاملوا معها باعتدال، ولم يتجاوزا فيها الحد، فانطلقوا لخدمة الجيل، واجتثاث حالة الإحباط، واشتغلوا ببناء الأجيال الصالحة المصلحة.

❁❁❁❁❁

المبحث الثاني
العلاج الواقعي لظاهرة الغلو

مقدمة:

العلاج للحالة الغالبة ليس بالسهل فهو يتطلب منهجا واضحا، وتوازنا يقود للتوسط في الحكم على الأمور، وأول ما يتحكم إليه في العلاج هو الكتاب والسنة، يقول جل وعز: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا [النساء: ٥٩]؛ "فإن تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأي القولين دلَّ عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه"(١). وهذا هو منهج المؤمن الطالب للحق، وللنجاة عند ربه جل وعز، ثم إن الأمور التي لها طرفان ووسط، دائما يكون مميز بوجه من الوجوه، فطرف الغلو يتميز بالتشديد على النفس أو على الغير أو عليهما معا، وطرف الجفاء يتميز بالتمييع على النفس أو على الغير أو عليهما معا، والوسط هو حل القضية وهو خيار العقلاء بين هذا وهذا.

قال ابن القيم رحمه الله: "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١٢/٢٠).

عنه والغالي فيه. كالوادي بين جبلين"[1]؛ ولذا لزم التوسط قبل البدء في العلاج، التوسط في النظرة، والتوسط في المحل، ليكون علاجا مناسبا، ثم إن الظلم لا يُقابل بظلم، والخطأ لا يقابل بخطأ، فلا يطلق على من وقع في هذه الفكرة الغالية وصْفًا يكون كالسُّبة له، والحامل على بغضه، وتبغيض الناس فيه، لكن يعدل معه، ويطلق عليه ما يليق من جهة الشرع والواقع.

قال ابن تيمية رحمه الله: " فلهذا كان أهل السنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله"[2]. وهذا هو العدل والواجب حتى مع من يبغضنا ونبغضه، قال جل وعز: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ [المائدة: ٨] قال ابن سعدي: "بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عهدوكم فاشهدوا له"[3].

من هنا فإن التصدي للغلو يجب أن يكون مقدر بقدر الواقعة، فلا نهول ولا نهون من الأمر، ولكن بحق وعدل، مع مراعاة أن الغلو دركات،

(١) مدارج السالكين، (٢/ ٤٦٤).
(٢) الرد على البكري، ص (٢٥٨).
(٣) تفسير: تيسير الكريم الرحمن (١٢٢/٢).

فهو يتفاوت بحسب أحوال الأفراد والجماعات، والأحداث والوقائع، وقد ينقدح في الذهن أن الغلو ظاهرة فاشية في العالم الإسلامي فحسب مما يوغر الصدور ويصد عن سبيل الله، وعن الدعوة إلى هذا الدين العظيم، لكن هذا بعيد عن الواقع، مجاف للحقيقة.

يقول الدكتور عمارة: "إني أؤكد أن شريحة الغلو في الحركة الإسلامية محددة بكل المقاييس... وليس فقط من حيث التأثير، وإنما من حيث العدد أيضا"(١).

ويقول الدكتور الكتاني: "تمر أخبار التطرف اليميني واليساري في الغرب بهدء تام، في الوقت الذي يدق فيه الإعلام الغربي يوميا نواقيس الخطر ضد التطرف الديني"[٢] بل الغلو عالمي في النصرانية واليهودية، وعند كل قوم لهم أيديولوجية محددة، فلم يخص به الإسلام وأهله، إنه الظلم الصراح، وصدق من قال: "والغلو هو الخبز العالمي في هذا العصر"(٣)، ولذا لزم التنبيه في علاج الغلو إلى مثل هذا؛ كذلك يلزم التنبيه إلى أن علاج الغلو ليس له علاقة بالدين، ولكن علاقته بالتدين: وهي الطريقة التي يمارس بها المغالي تدينه، فأي نقد فلا بد أن يوجه للأفراد ولتعاملهم

(١) جريدة الوطن: (٢٤/ ١٠/ ١٩٨٨م).
(٢) الإسلام والعصر، د. إدريس الكتاني (٧٥ – ٧٧).
(٣) القائل: الدكتور: راشد المبارك.

مع الدين غلوا أو جفاء، ومع ذلك يظل دين الله ثابتا معظما محترما، وقبل الولوج في العلاج لهذه الظاهرة لابد من استحضار الضغوط الخارجية على الغالي في فكرته، وكذا الضغوط الذاتية النفسية عليه، ومراعاة ذلك للإفادة من العلاج.

المطلب الأول: علاج الأسباب المجتمعية

أولا: علاج أثر ظهور المعاصي والمجاهرة بها في ظهور مشكلة الغلو في المجتمعات:

وعلاج ذلك في أمور أوْلاَها وأحظاها: الدعوة إلى الله وتيسير شأنها، وفتح أبواب الإصلاح الاجتماعي، قال الله جل وعز: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ [آل عمران: ١١٠]، وإذا استخدم علاج الدعوة بالحسنى والموعظة الحسنى كان ذلك مؤثر جدا في خفض الضغط النفسي عند أصحاب الفكرة الغالية حيث يشعرون في ظل حنوّ الدعاة عليهم بأنهم مع أناس يشاركونهم آمالهم، وآلامهم، وينشر الدعوة إلى الفضيلة باعتدال يقطع دابر الفتن، فإذا انتشرت الدعوة إلى الله باعتدال فإنه يرجى أن تثمر ما يأتي:

١- أن في وجود الدعوة إلى الله ونشر الفضيلة سبب في ردع بعض الناس من انتهاج منهاج الغلو والعنف في التغيير لبعض المنكرات، فلا يكون التغيير والإنكار إلا بالتي هي أحسن.

٢- أن في ذلك تفويت الفرصة على أصحاب الأفكار الضالة التي تتبني منهج أهل البدع من الخوارج ونحوهم، فلا يصلوا بأفكارهم إلى شباب تدفعهم الغيرة، ويحركهم حب الله جل وعز.

٣- إذا ظهرت الدعوة إلى الله ونشر الفضيلة، فإنه يضعف انتشار الأفكار الغالية، بل وتعالج إن وقعت.

٤-في الدعوة إلى الله شغل لفئة عمرية خطيرة هي فئة الشباب، حيث يكرسون جهودهم في مناشط الدعوة إلى الله، وإصلاح الناس، وهذا فيه حسم لمادة الغلو أيضا.

٥- مراعاة أنه كلما ضعفت الدعوة إلى الله وإلى نشر الفضيلة والاعتدال قوية فئة الغلو، وانغلق مفتاح العقل بالعصبية عن الحق.

٦-أن فيه إضعاف لأهل المجاهرة بالسوء، لأنهم يناصحون بالحسنى دائما.

ثانيا: علاج أثر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظهور مشكلة الغلو:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم ما ندب إليه الشارع الحكيم، وما ذلك إلاَّ لما فيه من صلاح المجتمعات والأفراد، يقول الله جل وعز: وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [آل عمران: ١٠٤]، فالأمر بالمعروف إذا قام حصن المجتمعات من الانحرافات سواء الأخلاقية أو السلوكية، الجافية، أو الغالية، أو الانحرافات العقدية كذلك الجافي منها والغالي، فالاحتساب يكون على الجافي والغالي سواء بسواء.

وهذه مسائل بهذا الأمر:

١- في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يحدث ردة فعل ممن تؤرقهم كثرة المعاصي في المجتمعات، وتذيب قلوبهم الغيرة في سبيل

الحق والفضيلة، وهم قد لا يفقهون الأحكام الخاصة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيطلقون أحكامهم المغالية على المجتمعات وعلى العصاة، أو يقومون بالإنكار بطريقة منكرة شرعاً.

٢-قد يقول المغالي إن الأمة لم تتصدى لهذه المنكرات لتغييرها، فأقوم أنا بالتصدي، وهو لا يحسن؛ وإنما تدفعه الغيرة فحسب، وهذ ناتج عن تقصير المختصين في قيامهم بواجبهم.

٣-الغلو هو منكر من المنكرات، ولذا لزم الاحتساب عليه، من العلماء، والأمراء الذين يقومون بشأن عامة الناس.

٤-مراعاة أحوال أهل الغلو، فإنهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم الداعي إلى فكرته، ومنهم غير الداعي إليها، ومنهم المنافح عنها، ومنهم المتبني الصامت لها، ومنهم المقاتل من دونها، ومنهم دون ذلك، فيحتسب على كل بحسبه.

ثالثا: علاج أثر معالجة فشو المنكرات على ظهور مشكلة الغلو:

وقد سبقت الإشارة إلى العلاج كسبب فيما سبق.

المطلب الثاني: علاج الأسباب الفردية والشخصية

المقصود بالأسباب الفردية ما يقوم في شخصية حامل الغلو، وقد بينت أسبابها فيما سبق، وفيما يلي سوف أذكر كل سبب مشفوعا بوسيلة علاجه، وذلك على النحو التالي:

أولا: ضعف العلم الشرعي المؤصل بالدليل والتعليل: وعلاج هذه السباب فيما يلي:

١-**طلب العلم الشرعي**: فالجهل أصل كل رزيلة، والعلم أصل كل فضيلة، لذا قال الله جل وعز: وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ [النحل: ٤٣]، وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (١)، وكان ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول: "اغد عالما، أو متعلما، ولا تغدو إمعة، بين ذلك"، وقال ابن حجر -رحمه الله - : المراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص"(٢)؛ فالعلم الشرعي المؤصل بالدليل والتعليل ينفي الدغل عن صاحبه، ويأخذ بيده إلى الشريعة السمحة.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث (٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (١/٤٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١/١٤١).

٢-**ضبط منهج أهل السنة والجماعة** في التعامل مع النصوص الشرعية استدلالا واستنباطا وفهما وتطبيقا، وقد عُني علماء الأصول ببيان مصادر الأحكام، أو الأدلة الإجمالية التي تؤخذ منها الأحكام التفصيلية، وهي: الكتاب – السنة – الإجماع – القياس، قول الصحابي، وغيرها؛ لينضبط منهج الاستدلال بمرجعية موحدة، ثم بين العلماء في هذه الأصول قواعدا جعلوها كمفاتيح للتعامل مع النصوص، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والخاص والعام، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

٣-**الأخذ عن كبار أهل العلم مع حفظ حقوقهم، والتأدب معهم:** قال الإمام الآجري –رحمه الله: "لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض، وكيف اجتناب المحارم ، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقه، إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحير الناس، ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل"(١)، وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: (قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال) (٢)؛ فالأخذ عن أهل العلم وقاية من

(١) أخلاق العلماء، ص (٩٦).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب: في المجروح يتيمم، رقم الحديث (٣٣٦) وصححه الألباني، في صحيح الجامع الصغير (٢/٨٠٥).

المنزلقات، ومن رسخت قدمه في التعليم والتعلم من أخص الناس بذلك.

ثانيا: التعصب:

وعلاج التعصب في نبذة، فإن من لوازم الولاء لهذا الدين العظيم طاعة الله الطاعة المطلقة، وطاعة رسوله الطاعة المطلقة.

قال جل وعز: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، لأن معيار الحق هو أمر الله جل وعز، وأمر نبيه ﷺ، فهو المعيار الثابت الخالد حتى يأذن الله برفعه، يقول جل وعز: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، فلا تعصب إلا إلى أمر الله جل وعز وأمر نبيه عليه الصلاة والسلام، وأما الخلق فمعيار القبول لما عندهم فضلا عن التعصب عليه هو رد ذلك إلى كلام الله وكلام نبيه ﷺ، قال الأمام مالك بن أنس الأصبحي -رحمه الله-: "كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي ﷺ"(١)؛ ثم إن الشريحة المخاطبة بذلك هم الشباب حجة التصابي، وهو مرحلة يعيشها الفرد تتنازعه آمال، وآلام، وأقوال، ورُؤى، ومقالات حازمة حدية النظرة، أحادية الفكرة، ما لم يتسلح بسلاح العلم النابذ للتعصب المقيت، والتحزب المذموم، الذي من

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٩٣).

شأنه تفريق الصف، وإسقاط الأعمال، والفراغ للجدل والجدال، ولو انشغل الإنسان بنفسه لكان له فيها شغل.

ثالثا: الحماس غير المنضبط:

وعلاج ذلك بأمور منها: التفاؤل، والثقة بالله جل وعز، واللين في التعامل مع الناس، والاعتدال في الأحكام، وفي هذه ضبط للاستعجال وللحماس الذي يحمله الشباب، وتوجيه له.

وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: التفاؤل: وهو الكلمة الطيبة، والمتأمل لسيرة خلق الله -عليه الصلاة والسلام- يجد أن التفاؤل حليفه في كل لحظة وخاصة في لحظات الشدائد[1]، وهذا فيه من ضبط عاصفة الحماس ما يفني.

ثانياً: الثقة بالله: فمهما قويت شوكة العدو، أو كثرت المنكرات أو تخاذل الفضلاء عن قضيتهم، فالأمر لله جل وعز، وليس للخلق فيه شيء، قال جل وعز: إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ [غافر: ٥١]، والنفوس إذا عمرت بالثقة بالله خربت فيها حصون الوسواس الخناس.

ثالثاً: اللين في التعامل مع الناس: فمفتاح كسب قلوب الخلق: القول الحسن، والفعل الحسن، فاليسر واللين مفتاح للتعامل الحسن مع الآخرين، وهذا الدين كما في الحديث: (يسر ولن يشاد الدين أحد

(١) فقه السيرة للزيد.

إلا غلبه)[1]، والتيسير على النفس فيه مياسرة على الآخرين واليسر منهج، قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- : (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما)[2]، ولما بعث النبي معاذا وأبا موسى رضي الله عنه إلى اليمن قال لهما: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا)[3]، واليسر ضد الغلو تماما من أوجه كثيرة، ولذا كان اليسر منهاج المؤمن المنضبط في حماسه، ولم يكن بمفهوم التمييع، والإضعاف الذي يظنه بعضهم.

رابعاً: الاعتدال في الأحكام، فإن المتحمس بدون ضابط أحكامه تشوبها العاطفة الجياشة، ويشوبها الاستعجال والاندفاع، وميعة الشباب، وهو بهذا يقع في أخطاء في التصور، وأخطاء في العلاج، وأخطاء في العمل؛ لأنه أخطأ عند حكمه على المسألة، فكيف بالحكم على زلات العلماء، وهم بشر ليسوا بمعصومين، فالعدل في زلاتهم ألا يشنِّع عليهم من أجلها، وأن لا يرد ما يحملونه من حق من أجل هذه الزلة، وأن لا يتخذون عدوا، فيجد الجاهل فيهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، رقم الحديث (٣٩).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٥٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح، أسهله، رقم الحديث (٢٣٢٧).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، رقم الحديث (٣٠٣٨).

ميدانا للفجور في خصومته لهم، مما يصد الناس عن أخذ ما عندهم من الحق.

المطلب الثالث: علاج الأسباب السياسية داخلية وخارجية

أولاً: علاج الأسباب السياسية الداخلية:

وأذكر فيما يلي أسباب ذلك مشفوعة بأساليب علاجها، وذلك على النحو التالي:

أولاً: ضعف تحكيم الشريعة في دول الإسلام، فذلك يجعل صاحب الفكرة الغالية يعيش عزلة شعورية يشعر معها أنه هو المخلص للأمة، وإن أهم علاج لهذا السبب هو: التحاكم إلى شرع الله، وتوجيه النصيحة إلى حكام الدول الإسلامية وشعوبها إلى هذا الطريق المستقيم لتسعد الأمة بحكامها وبعلمائها، يقول جل وعز: قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ [الأنعام: ٥٧]؛ قال ابن القيم –رحمه الله–: "حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء"[1]. فالحكم بما أنزل الله جل وعز فيه حل لمشكلات الأمة مع كل أحد، حتى مع أبنائها، فالله جل وعز له الأمر من قبل ومن بعد، وهو العالم بمصالح خلقه، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ [الملك: ١٤]، وهو القائل: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ص (٣٢٨).

شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا

[النساء: ٥٩].

ثانيا: غياب دور العلماء: وعلاجه على النحو التالي:

١- تعليم الناس أصول دينهم وعقائدهم، وضوابطها وفق منهاج أهل الحق، باعتدال وبسط، كل بحسبه.

٢- الذبُّ عن الحق ورد شبهات أهل الباطل.

٣- حلّ المشكل على الناس، وبيان الحكم عند الحاجة إلى للبيان.

٤- حمل هموم الناس، والنزول بينهم لمعرفة حالهم، لتوجيههم لما ينفعهم.

٥- التصدي للفُهوم المغلوطة عن الإسلام والحق سواء الغالية، أو الجافية على حد سواء.

٦- تحصين الناس عن هذه المزالق التي قد تخرجهم عن سبيل أهل الحق إلى سبيل أهل الغلو والجفاء.

٧- الرد على أهل الغلو والجفاء وبيان بطلان حججهم؛ إذا احتيج لذلك، وكل مقام مقال، فإن كانوا يجاهرون بها، فيرد عليهم جهارا نهارا، وإن كانوا يخفونها ولا يبدون كثيرا منها فيرد عليهم بما يحقق الغاية.

٨- بيان الحق في قضايا الشبهات، وإشهاره وإظهاره ليلتزمه الناس.

٩- علاج الأصول التي يعتمد عليها الغالي، والجافي علاجا علميا عميقا.

١٠- علاج النفوس بتطهيرها من حظوظها.

ثالثا: التعذيب والعنف والضغط غير المبرر على مثل من وقع في هذه الأفكار الغالية؛ مما يكاد يكسب المغالين التشبث بها، والتضحية من أجلها.

وعلاج ذلك بعدم مقابلة العنف بعنف، والغلو بغلو، ولكن باستخدام أساليب الاحتواء وعدم المصادمة لأصحاب الفكرة الغالية، ومن ثم عدم ظلمهم بتحميلهم ما لم يتحملوه أو بتأخير حقوقهم عليهم، أو منعهم مما هو لهم، أو بتأخير محاكمتهم، أو بتعمد إغاظتهم وإزلالهم، أو باستخدام أداوت التعذيب لانتزاع الأقوال منهم، وما ذاك إلا لأنهم أبناء هذا المجتمع، فلهم حق حسن في العناية بهم، وبأهليهم من ورائهم، ولهم حق إعادة تأهيلهم؛ نفسيا ووظيفيا وماديا؛ ليمارسوا الدور السوي في المجتمع(١).

رابعا: تبني الأطروحات التي تحارب الدين سواء بالعلن أو بالخفاء، وعلاج هذا في العدل مع مثل هذه الأطروحات في نقدها ورفضها، وبيان مبررات ذلك، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فتبني مثل هذه الأطروحات التي تحارب الإسلام علنا أو خفاء بلهب قلوب أهل الغيرة على شرع الله جل وعز، مما يجعلهم على مواقف:

- فمنهم: المبرر للأخطاء، لضعفه العلمي أو المنهجي أو السلوكي.

(١) انظر: مؤامرة أم مراجعة، حوار مع قادة التطرف في سجن العقرب، بقلم: مكرم محمد أحمد، دار الشروق.

- ومنهم المسوغ لها بين الناس، لضعف دينه أصلا.
- ومنهم الصامت المعتزل للجميع.
- ومنهم الغيور الغاضب الذي يرى حرمات الله تنتهك وهو صامت، وزد على ذلك إذا صاحبه شرخ الشباب، وقلة التجارب، وهوى في النفس لوجه حب علو، ونحوه؛ فكيف يكون الحل في نظره.

غير أن الحاكم المسلم إذا منع نشر مثل هذه الأطروحات، أو على الأقل حدَّ منها؛ فإن ذلك قاطع لموارد الغلو عن طبقة من الناس هي أهم الطباق في الأمة، مع وجوب التعامل مع أصحاب هذه الأطروحات الدخيلة على الأمة، لتشفي صدور أهل الحق والإيمان[1].

ثانياً: علاج الأسباب السياسية الخارجية في الأمة:

وذلك بتوحيد الأمة في تكتلات تورثها المكانة المناسبة لها في عالم لا يعرف إلا لغة القوة والكثرة والغنى، وكذلك بنبذ الخلافات السياسية بين دويلات الأمة العظمى مما يكسبها توحدا واتحادا، وكذلك تبني قضايا الأمة العامة من أجل أن يكون لها ثقلها الخارجي مع الدول، وكذلك تمكين العلماء من إبقاء شموع الولاء للأمة الإسلامية فالتوحد لتكوين كتل لها اعتبارها في العالم أمر له شأنه، خصوصا بعد سقوط الدولة الأم وهي دولة الخلافة العثمانية، مما يسكب الفرد في هذه الأمة الاستعلاء النفسي،

(١) انظر: التطرف المسكوت عنه، د. ناصر بن يحيى الحنيني، دار التوحيد للنشر.

ونشوة الفخر لهذه الأمة، وأن الإسلام هو حل العالم وخياره الوحيد فينشغل بإدخال الناس فيه زرافات ووحدانا، ويعقد أمله على قادة الأمة علماء وحكاما[1].

❁❁❁❁❁

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للإمام أبي الحسن الندوي. دار القلم.

خاتمة وتوصيات

الحمد لله رب العالمين على التمام والتيسير.... **وبعد**

فقد قدم الباحث في هذا البحث بالمقدمة، وذكر فيه خطورة هذه الظاهرة على واقعنا المعاصر، وأهمية علاجها بما يخدم الواقع، لا بالمثالية فقط؛ ثم بين مفردات البحث ومترادفاتها، وقسم البحث بعد ذلك إلى مبحثين، كان الأول هو أساب واقعية لظهور هذه الظاهرة، وكان على أبواب ثلاثة، فهي أسباب مجتمعية، وأسباب شخصية، وأسباب سياسية، ثم المبحث الثاني، وهو العلاج الواقعي لهذه الظاهرة، وفيه ثلاثة أبواب أيضا هي: علاج الأسباب المجتمعية، وعلاج الأسباب الشخصية، وعلاج الأسباب السياسية، وهذه الخاتمة والتوصيات، وقد توصل الباحث إلى ما يلي:

١-**أن تعريف الغلو**، هو: مجاوزة الحد في الشيء قدحا، أو مدحا.

٢-**أن الأسباب الواقعية ذات أهمية كبرى في علاج الواقع من الأسباب المحتملة**، أو من الأسباب النظرية فحسب.

٣-**أن العلاج الواقعي** لكل سبب أنجع في قطع مادة الغلو من القلب الغالي.

وهذه بعض التوصيات التي يرى الباحث أنها ذات بال في هذا الموضوع:

- أهمية تحرير المفاهيم في هذه الظواهر، ليتحرر بعد ذلك العلاج المناسب لها، والموقف المناسب منها.
- ضرورة الحلول الواقعية المعاصرة من أرض الحدث، فالتنظير هام، ولكنه غير كافي لعلاج الواقع المعاش.
- الحاجة للتوصيف العادل للظاهرة.
- الحاجة الماسة للعلاج الميداني سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة.
- تكوين فرق عمل للخروج بأفكار علاجية جديدة لهذه الظاهرة، غير ما ذكر، لعلها تكمل العمل.
- تكوين فرق عمل لرصد الأفكار الأصلية والأسباب الفرعية التي تكون دافعا للغالي لغلوه.
- تكثيف دروس العقائد، وبيان منهج أهل الحق في الشبهات المثارة بوضوح.
- الرفق بالموقوفين وعدم ظلمهم بأكثر من خطئهم، وعلاجهم بعدل.
- البت في الحكم على الموقوفين، فإن التأخير يزيد الأمر سوء.
- التثبت من الأجهزة المختصة فيمن يقبض عليهم في مثل هذه الأفكار، والتفريق بين الداعي لفكرته، وغيره.

- إقامة مراكز بحثية لعلاج هذه النازلة والنوازل المشابهة لها، قبل استفحال الأمر.
- تنمية الروابط الإنسانية، والعقدية بيننا وبين أصحاب الفكرة الغالية مما يمكننا من احتوائهم.
- واجب العلماء دعوة الحكام في العالم الإسلامي للتكتل، والتوحد على الحق.
- واجب الحكام الحكم بشرع الله، وإقامته على القريب والبعيد والدعوة إلى ذلك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله، وآله وصحبه ومن والاه.

والحمد لله أولا وأخيرا.

❁❁❁❁❁

قائمة المراجع

١- الخلافة الإسلامية، د. محمد سعيد عشماوي.
٢- الأعمال الكاملة لنزار قباني.
٣- صحيح الجامع الصغير، للألباني.
٤- المواجهة بين الإسلام والغرب، لمحمد مورو.
٥- مدارج السالكين لابن القيم.
٦- الرد على البكري لابن تيمية.
٧- تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي.
٨- الإسلام والعصر، لإدريس الكتاني.
٩- سنن ابن ماجة.
١٠-صحيح ابن ماجة للألباني.
١١-جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
١٢-فتح الباري لابن حجر.
١٣-أخلاق العلماء للآجري.
١٤-سير أعلام النبلاء للذهبي.
١٥-فقه السير للزيد.
١٦-مفتاح دار السعادة لابن القيم.

١٧-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.
١٨-مؤامرة أم مراجعة، لمكرم محمد أحمد.
١٩-التطرف المسكوت عنه، لناصر الحنيني.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
• **مقدمة**: بيان مفهوم الغلو، والألفاظ المرادفة له	١٧١
أولاً: مفهوم الغلو	١٧٢
ثانياً: مرادفات المصطلح	١٧٣
المبحث الأول: بيان أسباب ظهور الغلو	١٧٥
المطلب الأول: الأسباب المجتمعية الجماعية لظاهرة الغلو	١٧٦
المطلب الثاني: أسباب فردية شخصية	١٨١
المطلب الثالث: أسباب الغلو السياسي	١٨٥
المبحث الثاني: العلاج الواقعي لظاهرة الغلو	١٩٣
المطلب الأول: علاج الأسباب المجتمعية	١٩٧
المطلب الثاني: علاج الأسباب الفردية والشخصية	٢٠٠
المطلب الثالث: علاج الأسباب السياسية داخلية وخارجية	٢٠٦
• **خاتمة وتوصيات**	٢١١
• **قائمة المراجع**	٢١٤